

— ٧٧ —

حواستهم من النظر والسمع خاصة . وذلك لأن معظمهم كانوا بداء وثنيين لا يُطيلون التفكير فيما وراء الأشياء الظاهرة .

أما النزعة التأملية ووصفُ الشاعر والأحاسيس الدقيقة الدفينة في أعماق النفس فكان ضعيفاً في الشعر الجاهلي بالقياس إلى النزعة الأولى فيه . والحال في شعر الوقوف على الأطلال كالحال في الشعر الجاهلي بمجموعه سواء . وزيد من قولنا هذا أن شعراء الجاهلية لم يكونوا مهتمين كثيراً بأحوالهم النفسية في شعر الوقوف على الأطلال بقدر اهتمامهم بوصف بقايا المنازل والديار . وهذا على الرغم من أن الموقف موقفٌ ذكرى وحين .

ونكتفي بهذا ، ولا نتوقف طويلاً عند شعراء الجاهلية في بحثنا في تطور شعر الوقوف على الأطلال ، لأن هؤلاء الشعراء هم الذين بدؤوا هذا الشعر كما قلنا ، وابتكروا معانيه ، وأرسوا قواعده واستمرروا عليها دون تغيير كبير طوال العصر الجاهلي . ولم يحدث في حياة العرب إبتان هذا العصر حوادث اجتماعية أو تاريخية كبرى غيرت أنماط حياتهم . فبقيت لذلك قواعد الشعر ومعانيه وطرائقه ثابتة على وتيرة واحدة دون تغيير . وكذلك الحال بالقياس إلى شعر الوقوف على الأطلال ، وهو معنى من معاني الشعر الجاهلي .

وكذلك لا نتوقف عند الشعراء المخضرمين الذين عاشوا في الجاهلية . وأدركوا الإسلام ، لأن شعرهم بمجموعه ، ومنه شعر الوقوف على الأطلال ، قد سار على سنن الشعر الجاهلي ، ولم يختلف عنه في شيء يُذكر هنا . فلذلك نعتبر شعر الوقوف على الأطلال عند الشعراء المخضرمين امتداداً واستمراراً لهذا الشعر عند شعراء العصر الجاهلي . وللتحقق من هذه الفكرة تكفينا نظرة عَجَلِي في ديوان كعب بن زهير أو في ديوان الحطيئة أو في ديوان حسبان بن ثابت أو في ديوان ابن مقبل .